الفصل الأول

لمحة تاريخية

في مطلع القرن الرابع عشر كان شرقي المتوسط مسرحاً لقوى سياسية ودويلات في طور النمو، في الوقت الذي كانت دول كبرى في طريقها نحو الانحلال. كان سلاجقة الروم القوة السائدة في الأناضول منذ القرن الثاني عشر إلى أن أجهز عليهم المغول سنة 1243م في معركة قوزطاغ التي دارت رحاها شمال غرب سيواس، وبذلك أصبح المغول القوة المسيطرة في المنطقة. وبحلول سنة 1300م كانت دولة المغول قد اضمحلت، في الوقت الذي كانت الدولة البيزنطية قد تضعضعت ولانت شوكتها لا سيما بعد أن سقطت عاصمتها بيد الحملة الصليبية الرابعة. هذا وبالرغم من أن الإمبراطور ميخائيل الثامن تمكن من استعادة المدينة سنة 1261م، إلا أن ممتلكات الإمبراطورية في آسيا تقلصت إلى بقعة صغيرة في غربي الأناضول، ومنذ ذلك

obeikandl.com

الحين دأب الحكام البيزنطيون على الإستغاثة بالغرب للحفاظ على ما تبقى من كيان دولتهم.

كانت مجموعة الجزر الإيجية الغربية قبالة الساحل الأناضولي تخضع لسيطرة القوى اللاتينية أو البيزنطية. فمنذ أوائل القرن الرابع عشر حتى سنة 1329م كانت أسرة زاكريا تسيطر على خيوس إلى أن انتقلت السيادة على الجزيرة إلى سلالة الـ«ماونا» Maona في حين كانت جزيرة لزبوس خاضعة لأسرة غاتلوسيو الجنوية منذ سنة 1354م. وكان الجنويون يسيطرون أيضاً على فوتشا Phokae الواقعة على ساحل الأناضول مقابل خيوس، بالإضافة إلى هيمنتهم منذ سنة 1267م على الضفة الأوربية للقرن الذهبي قبالة القسطنطينية، فيما كانت البندقية تهيمن على كريت وونغروبُنتي. بالإضافة إلى ذلك كان بعض سادة البنادقة يحكمون الكثير من الجزر ومن جملتها ناقسوس وأندروس «دوقية ناقسوس» بالإضافة إلى ميكونوس وكرباثوس وسانتوريني. وكان فرسان الاسبارتية Hospitallers قد بسطوا بسلطانهم على رودس والجزر المجاورة بما فيها كوس وباتموس، ومن ثم استولوا على بعض المناطق الساحلية في الأناضول حيث شيدوا قلعة عند بودروم في مستهل القرن الخامس عشر. وفي سنة 1344م تمكنت عدة قوى نصرانية متحالفة من الاستيلاء على مرفأ إزمير الذي بقي بحوزة اللاتينيين حتى سقوط إزمير بيد تيمورلنك سنة 1402م.

وبحلول سنة 1300م كانت جموع الأتراك قد وصلت إلى سواحل بحر إيجه. وأعقب ذلك بروز عدة دويلات أهمها إمارة قرمان في قونية، التي بقيت شوكة في جنب العثمانيين لفترة غير قصيرة إبان القرن الخامس عشر، في حين برزت عدة إمارات على طول الشريط الساحلي المطل على بحر إيجه. ومن هذه الإمارات قره سي والصاروخان وآيدين ومنتشا (قاريا)، وإلى الشرق إمارة حميد وإمارة الكرميان حول كوتاهيه. في حين سيطر آل اصفنديار على المناطق المجاورة لـ قستمونو وسينوب على البحر الأسود.

أما العثمانيون فقد بسطوا سيطرتهم على الثغور المتاخمة للأراضي البيزنطية أو ما تبقى منها، وتمكنوا تحت لواء زعيمهم عثمان من التوسع غرباً على حساب البيزنطيين، في اتجاه بحر مرمره وحتى نهر سقاريا. والحق أن الدولة العثمانية شهدت نمواً سريعاً في عهد أورخان الذي خلف أباه عثمان حوالي سنة 1324م[1]. تمكن آورخان من الاستيلاء على بورصة (بروسه) ومدن بيزنطية أخرى مثل إزنبق (نيقيه) وإزميت (نيقوميديا)، وذلك بين سنتي 1326م و1327م. لم يكن البيزنطيون الضحية الوحيدة للزحف العثماني، إذ ضم أورخان إلى ممتلكاته إمارة قره سي حوالي سنة 1335م[2]، وتمكن العثمانيون بقيادته من الاستيلاء على غاليبولو (غاليبولي) ـ أول موطئ قدم لهم في أوربا.

تابع العثمانيون زحفهم بقيادة مراد الذي خلف أبيه آورخان سنة 1362م. ففي الأناضول استطاع أن يضم إلى ملكه إمارتي كرميان وحَمْيِد خلال سنوات قصيرة بعد عام 1370[3]. كما شن هجوما ناجحاً على إمارة قرمان بين سنتي 1381 و1389[4]. وفي نهاية حكمه أصبح العثمانيون يسيطرون على بقعة في الأناضول تمتد من شواطئ البوسفور شمالاً إلى أنطاكية وسواحل بحر إيجه جنوباً.

في الوقت نفسه استطاع العثمانيون تحقيق مكاسب مماثلة في أوربا، فقد استولوا على أدرنة (أدريانوبل) سنة 1369[5] على الأرجح، وفي سنة 1371 ألحقوا الهزيمة بالقوات الصربية في موقعة شرمن على ضفاف نهر مارتسا (قريج) وتقدموا صوب بلغاريا ومقدونيا ومن ثم استولوا على بلوفدف (فيلِبولس) وزاغورا وجزءاً كبيراً من الأراضي البلغارية على ما يبدو، وهناك ما يشير إلى أن أمارة ترنوفو خضعت للسيادة العثمانية في تلك الفترة. ثم إن العثمانيون استأنفوا هجماتهم في اتجاه البوسنة وصربيا واحتلوا نيش سنة 1385م. ومن هناك اندفعت القوات العثمانية جنوباً واستولت على سالوفيك سنة 1387م. وبعد سنتين اجتاح مراد صربيا وقهر القوات الصربية في معركة كوسوفو (قوصوه) الشهيرة والجدير بالذكر أن كلاً من مراد والأمير الصربي لازار قُتلا في الميدان.

على أثر ذلك وقعت صربيا فريسة للفوضى والصراعات

الداخلية، فيما كانت الدولة العثمانية تميل نحو الاستقرار بالرغم من النزاع على السلطة الذي نشب بين نجلي مراد. ومهما يكن من أمر فقد حُسم هذا النزاع لمصلحة بايزيد في أكتوبر/تشرين الأول من سنة 1389م. على أثر ذلك سارع بَودست بيرا الجنوي إلى تجديد معاهدة الصلح بين جنوى وبايزيد[6].

استأنفت الدولة العثمانية توسعها في عهد بايزيد (1389 ـ 1402م). ففي الأناضول أخضع العثمانيون إمارتي قاريا وآيدين بين سنتي 1389 ـ 1390 م وهاجموا مرة أخرى قرمان. وقام بايزيد أيضاً بعدة عمليات حربية لإخضاع اسفنديارأوغلو بمشاركة الإمبراطور البيزنطي منويل الثاني الذي أصبح يدين بالولاء للسلطان. ويبدو أن هذه العمليات الحربية قد مكنت بايزيد من نشر سلطانه على شمال الأناضول حتى قزلرماك أي المنطقة الممتدة من البحر الأسود غربي سينوب إلى البقاع الواقعة بين أنقرة وسيواس.

أما في أوربا فقد وجد بايزيد نفسه في صراع مستحكم مع عاهل المجر سجسمند للسيطرة على صربيا. كانت الغلبة في هذا الصراع لبايزيد الذي توغلت قواته في بلغاريا والفلاخ (وليشيا) مما دفع سجسمند والإمبراطور البيزنطي منويل إلى طلب النجدة من الغرب. ونتيجة لذلك جُهز جيش صليبي كبير شاركت فيه قوات من فرنسا وألمانيا وإنكلتره. لكن القوات العثمانية تمكنت من إنزال هزيمة ساحقة بهذا الجيش في

نيقوبولس على ضفاف الدانوب إلى الغرب من روسه (بلغاريا الحالية). كان هذا النصر بمثابة ضربة قاصمة قضت نهائياً على الروح الصليبية.

كان من تداعيات معركة نيقوبولس أن أصبحت القسطنطينية مهددة بالسقوط مما دفع منويل مرة أخرى إلى طلب النجدة من الغرب الذي لم يلبى النداء في حينه، لكن ملك فرنسا شارل السادس أرسل سنة 1399م المرشال بوسيكو إلى القسطنطينية لدراسة الوضع. في هذه الأثناء شرع بايزيد بالتوغل في المجر، واستولى على فيدين وبذلك أصبح سيداً بلا منازع على الأراضي الواقعة إلى الجنوب من نهر الدانوب.

تابع العثمانيون تقدمهم جنوباً في كل من ألبانيا وإبيروس وجنوبي اليونان تارة بقوة السلاح وتارة عن طريق الزواج والمصاهرة. ومن العوامل التي ساعدهم في فتوحاتهم التناحر القائم بين مختلف الزعماء المحليين من جهة والحكام اللاتين من جهة ثانية، مستخدمين لهذا الغرض مبدأ «فرِّق تَسُد». وإلى جانب هذا التقدم في البر، عكفت السفن التركية على الإغارة على الجزر الإيجيه واعتراض السفن اللاتينية في عرض البحر والمضائق الإيجيه.

واكب نجاح العثمانيين في أوربا نجاح مماثل في الأناضول. ففي سنة 1397م شن بايزيد هجوماً على إمارة قرمان

السلجوقية أسفر عن مقتل علاء الدين (حاكم قرمان) وضم ممتلكاته إلى الحظيرة العثمانية ومن ثم تقدم شمالاً وانتزع صمسون من آل اسفنديارأوغلو وضم أماسيه. وأخيراً قضى على إمارة سيواس التي قتل أميرها برهان الدين. وفي الوقت نفسه ألحق الهزيمة بعشيرة قرة فيونلي ثم انطلق جنوباً واستولى على ملطية التي كانت في حوزة المماليك. وبنهاية القرن كان بايزيد قد بسط سلطانه على كافة الأراضي بين سيواس وملطيه شرقاً إلى وسط هضبة الأناضول وكامل الأناضول الغربي. لكن الصرح الذي أحرزه بايزيد لم يعمر طويلا، إذ تهاوى تحت ضربات جحافل المغول القادمة من الشرق والمنضوية تحت لواء تيمورلنك.

وُلِد تيمورلنك في بلاد ما وراء النهر (ترانسكسونيا) بين سنتي 1320 ـ 1330م أو 1330 ـ 1340[7] وبنهاية القرن الرابع عشر كان هذا القائد المغولي على رأس قواته على مشارف الأناضول. وفي سهل أنقرة تصدى له بايزيد حيث نشبت معركة حاسمة كان النصر فيها حليف تيمورلنك وأسفرت عن وقوع بايزيد في الأسر. على أثر ذلك تضعضعت سلطة العثمانيين في الأناضول ونشب صراع دموي بين أبناء بايزيد. ثم إن تيمورلنك أعاد للإمارات السابقة استقلالها بعد أن كانت هذه الإمارات خاضعة للسلطان العثماني. وكانت حصيلة ذلك أن أصبح العثمانيون يسيطرون فقط على مناطق في شمالي الأناضول تمتد

من بحر مرمرة إلى بورصة، ومن أنقرة وسيواس في الشرق إلى أماسيه شمالاً. تفرق أبناء بايزيد بعد موت أبيهم، إذ فرّ سليمان إلى أوروبا، في حين استقر محمد في المنطقة المحيطة بـ أماسية وطوقات وسيواس. أما موسى فيبدو أنه وقع في الأسر مع أبيه، أما عن مصير مصطفى فلا يزال يكتنفه الغموض[8]. ومهما يكن من أمر فقد أدى الاقتتال والفتن بين أبناء بايزيد في نهاية المطاف إلى ارتقاء محمد سدة السلطنة.

أعاد محمد الأول خلال فترة حكمه من 1413 حتى 1421م بناء الدولة العثمانية، وتمكن من قمع الثورات الداخلية في الأناضول التي تزعم إحداها الشيخ بدر الدين الصماونوي وبوركلوجه مصطفى وحقق مكاسب أخرى في الأناضول وأوروبا. كما استعاد العثمانيون سيطرتهم على إمارتي آيدين وقاريا اللتان أصبحتا منذ ذلك الحين تحت السيادة العثمانية. وتمكن السلطان الجديد من إلحاق الهزيمة بمناوئيه من آل اسفنديار آوغلو وصاحب قرمان. وأخيراً استولى محمد على صمسون بعد أن انتزعها من الجنويين سنة 1420م ومن ثم أغار البوسنة وهاجم نغروبونتي. وبحلول سنة 1421م (السنة التي توفي فيها محمد) كانت الدولة العثمانية قد استعادت حيويتها بعد كارثة معركة أنقرة والفتن الداخلية التي أعقبتها.

خلف مراد الثاني أباه محمد وكانت فترة حكمه بين سنتي 1421م ـ 1451م نعمت خلالها الدولة باستقرار أكثر مما كانت

عليه في السنوات العشر قبل تبوئه العرش. هذا بالرغم من أن مراد اضطر لأن يخوض حربا أهلية لضمان بقاءه على العرش. وذلك لأن عمه دوزمه مصطفى، وأخيه من بعد حاولا منازعته على العرش لكن مراد تمكن من القضاء على الفتنة في الحالتين، ومن ثم شرع في توطيد دعائم ملكه في الجزء الأوربي من الإمبراطورية وفي الأناضول حيث قام بحملة موفقة على كرمان التي بقيت دهراً تناصب العثمانيين العداء. وفي نهاية المطاف استطاع مراد بسط سيطرة العثمانيين على غرب وشمالي شرق الأناضول. لكن الوضع في أوروبا لم يكن مستقراً نتيجة لظهور الزعيم المجري يوحنا هُنيادي صاحب ترانسلفانيا الذي تمكن بفضل قيادته الناجحة من إنزال الهزيمة بالقوات العثمانية في سنة 1441م وكذلك سنة 1442.

كان هدف مراد في هذا الظرف مهادنة القوى المحيطة به. وقد سبق له أن عقد معاهدة صلح مع البيزنطيين بعد حصاره الفاشل للقسطنطينية في بداية حكمه. والآن وجد مراد من المناسب له أن يختم عملياته الحربية في المجر بإبرام معاهدة أدرنه مع صربيا والمجر سنة 1444م، وتوصل إلى عقد اتفاقية مع قرمان في نفس السنة. وهنا قرر مراد الاعتزال والتنازل عن العرش لمصلحة ابنه محمد بعد أن استقر الوضع وساد الهدوء علاقاته مع جيرانه.

كانت فترة حكم محمد الثاني قصيرة بقدر ما كانت صعبة.

وتفصيل ذلك أن يوحنا هنيادي وحليفه فلادِيسلاف الأول ملك المجر، نقضا معاهدة أدرنة وعبرا نهر الدانوب لغزو البلدان البلقانية. لكن مراد تقدم لقتالهم بعد أن نحى ابنه عن القيادة. وتحت أسوار فارنا (وارنه) التقى الجمعان في معركة كان النصر فيها حليف العثمانيين. وقد أسفرت المعركة عن مصرع فلاديسلاف وفرار هُنيادي من ساحة المعركة.

وبعد هذا النصر المبين اعتزل مراد للمرة الثانية بعد أن سلم زمام السلطة لمحمد. لكن حكم محمد في هذه المرحلة لم يدم طويلاً. فبعد توليه السلطة بسنتين شقت الإنكشارية عصا الطاعة مما اضطر مراد إلى تبوء سدة السلطنة مرة ثانية لإعادة الأمور إلى نصابها. بقي مراد في الحكم إلى أن توفاه الأجل سنة 1451م. وخلال هذه الفترة تمكنت القوات العثمانية في أوروبا من القضاء نهائياً على يوحنا هنيادي في معركة كوسوفو الثانية سنة 1448م، وكان هنيادي كما رأينا قد هُزم سابقاً في معركة فارنا مع حليفه المجري.

لكن الأوضاع في البلقان بقيت مضطربة. ففي ألبانيا تمكن اسكندر بك (اسمه الحقيقي جورج كستريوتا) من الصمود في وجه مراد بالانسحاب السريع إلى الداخل بعد كل مواجهة عسكرية. وفي الوقت نفسه كانت القوات العثمانية تقوم بعمليات حربية في جنوب اليونان والمقاطعات الخاضعة لحكم جنوى، شملت نغروبونتي، وجزيرتي تينوس ومِكُنوس سنة 1450م.

وفي شباط / فبراير سنة 1451 م ارتقى العرش للمرة الثانية محمد الثاني (1451 ـ 1481م) الذي قُدر له أن يفتح القسطنطينية ومستعمرة بيرا الجنوية.

والحق أن جنوى مرت خلال المئة والخمسين سنة أي منذ بداية القرن الرابع عشر حتى سقوط القسطنطينية، بفترات من عدم الاستقرار السياسي والاضطرابات الداخلية والتسلط الأجنبي[9]. كانت جمهورية جنوى خلال الفترة (1353 ـ 1356) تحت حكم جيوفاني فزكونتي، وفي سنة 1396 أصبحت تحت السيادة الفرنسية. وبعد ذلك تولى الحكم تيودورو دي منتغراتي. وفي سنة 1421 خضعت جنوى مرة أخرى لسيطرة ميلانو إبان حكم فيلبو ماريا فزكونتي. كانت جنوى من حين لأخر تُحكم من قبل رؤساء منتخبين (doge) يفتقرون إلى الحنكة، ومما يؤكد ذلك أنه بين تموز / يوليو وأيلول / سبتمبر من سنة 1393م تولى الرئاسة خمسة رؤساء. ومهما يكن من أمر فقد بقيت جنوى تلعب دورا تجاريا هاماً في البحر المتوسط. وفي مطلع القرن السادس عشر أصبح بنك سان جورجيو قوة مالية لا يستهان بها. إلا أن عدم استقرار الأوضاع السياسية في جمهورية جنوى أطلق يد المستعمرات الإيطالية) التابعة لجنوى (في التعامل بحرية مع الأتراك دون التقيد أو الرجوع إلى الحكومة المركزية.

كانت البندقية في تلك الحقبة المنافس الرئيسي لجنوى في شرقي المتوسط. ومامن شك أن البندقية كانت تنعم باستقرار

سياسي مكنها من التحكم بمستعمراتها في شرقي المتوسط بشكل أكثر صرامة من غريمتها جنوى وقد أدت المنافسة بين البندقية وجنوى إلى اندلاع عدة حروب ومواجهات بين الطرفين وخاصة للسيطرة على حركة التجارة في البحر الأسود وشرقي المتوسط حيث بقي ميزان القوى يميل لصالح هذا الطرف أو ذاك. فخلال حرب كرزولا Curzola التي نشبت بين الطرفين خلال الفترة 1294 ـ 1299م قام البنادقة بالهجوم على المستعمرة الجنوية في بيرا وأحرقوها (تموز / يوليو 1296م) فردَ الجنويون بقتل المفوض البندقي (bailo) والتجار البنادقة. وقد نجم عن هذه الحرب أن بقيت جنوى مهيمنة في البحر الأسود لكنها فقدت مكانتها التجارية في بيرا وشافا[10] بعد اتفاقية ميلان التي أبرمت في 25 أيلول/ سبتمبر 1299م ووضعت حداً للنزاع القائم بين الدولتين.

وما عتم الصراع أن نشب من جديد بين جنوى والبندقية واستمر من سنة 1351م حتى سنة 1355م. وكان هدف كلا الطرفين السيطرة على حركة الملاحة التجارية في البحر الأسود. لكن هذه الحرب لم تحقق أية مكاسب للطرفين المتنازعين[11] شأنها شأن الحروب الأخرى مثل حرب تِندوس Tenedos أو حرب تشيوجيا Chioggia التي انتهت بـ صلح تورين الذي أبرم في آب/ سبتمبر 1381م. ونستطيع القول أن هذا الصلح لم يغير شيئاً في الوضع الذي بقي على حاله، أي «لاغالب ولامغلوب»[12].

حافظت الدولة العثمانية منذ بداية نشأتها حتى سقوط القسطنطينية على علاقات وثيقة مع الجنويين، على الرغم من أن هؤلاء قد شاركوا أحيانا في تحالفات مضادة للعثمانيين. لكن البندقية كانت أكثر نشاطاً في هذا المجال من غريمتها جنوى. فعلى سبيل المثال رفضت جنوى المشاركة في الحملة الصليبية على إزمير سنة 1344م[13]. والجدير بالذكر في هذا السياق أن سلوك جنوى في هذا الشأن كان السبب إلى حد ما في فشل الحلف الذي دعا إليه البابا إنوسنت السادس سنة 1326 ـ 1363م لشن الحرب على العثمانيين[14]. وكان من المزمع أن يضم الحلف جنوى والبندقية وبيزنطة. والواقع يشير إلى أن جنوى لم تتوقف كلياً عن تبادل السفارات والبعثات مع الأتراك حتى في الأوقات التي اتخذت فيها موقفاً معادياً للأتراك. وتشير المصادر الجنوية إلى عدة اتصالات جرت بين الطرفين التركي والجنوي بين سنتي 1380 ـ 1389[15]، بالرغم من أن جنوى اقترحت على البندقية تشكيل حلف ثنائي للوقوف في وجه الأتراك وتقسيم المتوسط إلى منطقتي نفوذ لرعاية مصالحها التجارية[16]. وفي السنة نفسها توصل الجنويون في بيرا إلى عقد عدة اتفاقيات مع فرسان الاسبارتية في رودس والماونا Maona في خيوس وفرنشيسكو غاتلوسيو حاكم مايتلين[17] وقد استمرت الاتصالات وتبادل الوفود خلال الفترة ما بين 1390 ـ 1400م[18]، علماً بأنه جرت مباحثات بين حكام خيوس ورودس ولزبوس سنة 1392م

حول إمكانية القيام بأعمال حربية مشتركة ضد الأتراك[19]. ونستطيع أن نفترض أن هذا الهاجس كان دائماً في أذهان هذه الأطراف في الحقبة التي أعقبت القرن الثامن عشر[20]. لكن الوثائق التي تخص هذه الحقبة مفقودة حالياً[21]. ويصيب البرفسور بالار في قوله : «إن الجنويين كانوا معنيين بالدرجة الأولى بالمحافظة على تجارتهم في المشرق، وليس المشاركة في تحالف مسيحي مناهض للأتراك كما كان البنادقة يريدون»[22].

من المؤكد أن الجنويين كانوا يقيمون علاقات وثيقة مع الأتراك منذ سنة 1311م التي شهدت هجوماً جنوياً على جزيرة رودس والجزر المحيطة بها[23] بالتحالف مع إمارة قاريا. أضف إلى ذلك تحالف آخر بين جنوى والصاروخان في الوقت الذي كان فيه الجنويون يدفعون الجزية لإمارة الصاروخان لقاء السماح لهم بمزاولة تجارتهم بحرية انطلاقاً من مستعمرتهم فوتشيا الجديدة New phokae[24]، ويبدو أنه كانت هناك معاهدات بين الجنويين والصاروخان منذ عام 1345م[25] وكذلك مع آيدين سنة 1351م[26]. وهناك ما يشير إلى أنه في نهاية تلك السنة طلب الجنويين من آيدين إمدادهم بالمؤن التي يحتاجها أسطولهم[27]. والجدير بالذكر في هذا السياق أن المعاهدة المبرمة سنة 1387 بين السلطان العثماني مراد الأول والجنويين، لا تزال محفوظة وهي الوثيقة الوحيدة الباقية التي تتناول العلاقات التجارية بين العثمانيين والجنويين في تلك الحقبة أي القرن الرابع عشر، ومن

الثابت أن الجنويين قد عقدوا معاهدات مع العثمانيين في شتاء سنة 1351م[28]. وكذلك سنة1389م[29]. وهناك ما يشير إلى اتفاقيات أخرى وقعَها الجنويون مع سليمان نجل بايزيد سنة 1403م[30]. وقد شارك في توقيع هذه الاتفاقيات كل من البيزنطيين والبنادقة والاسبارتية Hospitallers.

ما من شك أن العلاقات العثمانية ـ الجنوية كانت تحكمها المصلحة المتبادلة. والواقع يشير إلى أن الجنويين كانوا «برغماتيين» في تعاملهم مع الأتراك، والحق أن هذه العلاقات كانت تمليها المصالح التجارية القائمة بين المستعمرات الجنوية والأتراك، وخاصة بين الجاليات التجارية المستقرة في بيرا وخيوس، بمعزل عن السلطة المركزية في جنوى. والجدير بالذكر أن هذا التواصل التجاري لم يفتر خلال حصار العثمانيين للقسطنطينية. وفي الوقت نفسه لم يتردد الجنويون في الوقوف إلى جانب المدافعين عن المدينة وإرسال السفراء إلى السلطان في أدرنة في محاولة لتجديد المعاهدات التجارية. ومن ناحية أخرى سعى الجنويون في بيرا إلى الحفاظ على علاقات طيبة مع الأتراك إلى حد أنهم أمدوه بالزيت (الشحم) الذي تحتاجه المَدافع لتسهيل حركتها. ويبدوا أنهم أطلعوا أيضا الأتراك على الخطة التي وضعها لونجو جوستيناني لإضرام النار بالسفن التركية المشاركة في الحصار[31]. ولعل الحدث التالي يُصور طبيعة العلاقات بين الجنويين والأتراك: عندما أغرقت المدفعية

العثمانية سفينة تجارية جنوية محملة بالبضائع في طريقها إلى إيطاليا، برر الأتراك تدميرهم للسفينة بأنهم ظنوها سفينة معادية ووعدوا التجار الجنويين المتضررين بتعويض خسائرهم[32] بعد استيلاء العثمانيين على القسطنطينية. والحقيقة أن الجنويين كانوا يتطلعون إلى مواصلة تعاملاتهم التجارية مع الأتراك واسترداد امتيازاتهم في بيرا بعد سقوط القسطنطينية حتى لو اضطروا إلى دفع الجزية لهذا الغرض. ولا غرو فقد كان هاجسهم الأكبر ضمان حرية التجارة عبر الطرق البرية إلى سواحل البحر الأسود[33].

قصارى القول أن العلاقات بين الأتراك والجنويين كانت متطورة إلى حد بعيد ودليلنا على ذلك تبادل السفارات وكذلك مجموعة الاتفاقيات التجارية المبرمة وتنوع هذه الاتفاقيات من حيث الفحوى. نخلص إلى القول بأن هذه العلاقات كانت قبل كل شيء تغذيها الرغبة في جني الأرباح عن طريق التجارة.

مصادر وهوامش الفصل الأول

1 Imber, Ottoman Empire, p. 19.

2 The conquest had to be after the visit of ibis Battuta in the early l330s, as he met the
independent ruler there. The earliest source to date it is the Chronological List of 1421, which
places it 134819 (luther, Ottoman Empire, pp. 2 1-2).

3 Germiyan was taken probably soon after 1375. The Chronological List of 1421, the earliest
source to date the event, places it in 137819 (Imber, Ottoman Empire, p. 27). Hamid fell
shortly after the conquest of Germiyan (ibid.).

4 Nesri dates it 1386. the Chronological List of 1421 to 1388 (Imber, Ottoman Empire, p. 28).

5 Imber, Ottoman Empire. p. 29.

6 Imber, Ottoman Empire. p. 37; 1 389.x.26 ASG. Notario, Donato de Clavaro, c. 476, doc.
see appendix 5, doc. 2. Summary in M. Balard, Angeliki E Laiou and C. Otten-Froux,
Les Italiens a Byzance et presentation de docum,ents, Série Byzantina Sorbonensia 6, Centre de
Recherches d'Histoire et de Civilisation Byzantine (Pads, 1987), p. 33.

7 For an account of Timur, see Beatrice Forbes Manz, The Rise and Rule of Tanaerlane
(Cambridge, 1989).

8 He may perhaps have ruled Bursa for some period. See Imber, Ottoman E,npire, p. 63 and n.26.

9 For an account of the history of Genoa in this period see Steven A. Epstein, Genoa and the Genoese
958-1528 (Chapel Hill and London, 1996).

10 Balard. Romanie genoise, vol. I. pp. 58-61.

11 See Balard. Romanie génoise, vol. I, pp. 78-83; and Michel Balard, 'A propos de la bataille

du Bosphore. L'expédition génoise de Paganino Doria a Constantinople'. Travaux et
Mémoires 4(1970), 431-69.

12 Balard, Romanie genoise, vol. 1, pp. 88-91.

13 Zachariadou, Trade and Crusade, p. 45 (despite papal appeal).

14 Balard, Romanie génoise, vol. 1, p. 85.

15 1387.1.29 = ASG, Antico Comune 83, fo. 53; 1387.1.29 = ibid., fo. 84; 1387.ii.27 = ibid.,
fo. 54; 1388.vi.t4 ibid., fo. 59; l388.v.l0 = ibid., fos. 7-8; 1388.vi.25 = ibid., fos. 66-67.

16 Zachariadou, Trade and O'nsade. p. 36; Balard, Rontanie génoise, vol. 1, p. 95.

17 Zachariadou, Trade and Crusade. p. 74.

18 There are many references in ASG: San Giorgio, Sala 34 590/1304; Antico Comune, 22; and Archivio
Segreto, 49g.

19 Zachariadou, Trade and crusade, p. 78.

20 1402.v.26 & 27 = ASG, San Giorgio, Sala 34 590/1306, fos. 97r-98r and 1402.v.l1 = ibid.,
fos.148r-l52r and 1402.v.30 = ibid., ffosl0lr-lO2r; 1413.i = ASG, Notaio, Giovanni Balbi,
Sc. 46. filza I. doc. 104.

21 In this context it is a great pity that so few of the Massaria of Pera have survived. They are
particularly useful in building up a picture of the exchange of embassies as they enter all related
.expenses.

22 Balard, Romanie genoise, vol. I, pp. 10.3-4.

23 Zachariadou, Trade and Crusade, p. 108.

24 Dukas. Historia Bvzantina, ed. 1. Bekker, CSHB (Bonn, 1843), pp. 162-3; Dukas, Ducae Historia
Turcobyzantina (1341-1462), ed. B. Grecu (Bucharest, 1958), p. 207, 11. 24-7; Dukas, Decline and
Fall of Byzantium to tile Ottoman Turks, ed. and trans. H. 1. Magoulias (Detroit, 1975), p. 149. Tribute

obeikandl.com

was also being paid to Saruhan in the 1330s: ibn Battuta, Voj'ages d'ib,i Batoutah, ed. and trans. C.
Defremery and B. R. Sanguinetti (Paris, 1854), vol. II, p. 314. Zacbariadou, Trade and Crusade, p. 17
says, referring to ibn Battuta, that this tribute was probably new as it was unlikely that Saruhan could
have extracted it when Zaccaria was established on Chico.

25 1364.x.8, ASG, Nota; Igaoti, XVIII. 14 refers to an agreement made between Saruhan and Leone
Kalothetos, lord of Old Phokaea. See Kate Fleet. 'The treaty of 1387 between Murad
I and the Genoese'. BSOAS 56(1993), 2 1-2.

26 Zachariadou. Trade and Crusade. p. 58.

27 A. Luttrell. 'Venice and the Knights Hospitallers of Rhodes in the Fourteenth Century',
Papers of the British School at Rome 261n.s. 5(1958), 205.

28 Concluded by Filippo Demerode and Bonifacio de Sauli, 1358.xi.20, ASG. San Giorgio, Manoscritti remain firm and unaffected by this new agreement with Byzantium. Kantakuzenos, loa,rnes
Kantakuzenos. Historiarum libri IV, ed. L Schopen, CSHB (Bonn, 1828-32), vol. 111, p. 288, II. 8-19 and Gregoras, Byzantine Historia, ed. L. Schopen and I. Bekker, CSHB (Bonn, 1828-
55), vol. III, p. 84. II. 4-11, both speak of legates sent to Orhan to secure an agreement with him, though neither of them name these emissaries.

29 I389.x.26, ASG, Notario, 476, Donato de Clavaro, c. 476, doe. 10, see appendix 5 below,
doc. 2.

30 G. T. Dennis, 'The Byzantine-Turkish treaty of 1403', Orientalia Christiana Periodica 33
(1967). 72-88.

31 Dukas, Historia Byzantina, chap.38, p. 265, II. 10-11. p. 267, II. 8-II, p. 275, II. 10-20.
p. 277, II. 13-14; Dukas. Historia Turcobv:antina, p. 329, II. 25-6, p. 333, II. 5-7, p. 343,
I.28-p. 345, 1.4, p. 347,1. 13; Dukes Decline and Fall, pp. 211,212,217,218.

32 Dtskas. Historia Byzantinet, chap. 38, P. 278, 1. 8 - p. 279, 1. 8; Dukes Hisroria Turcobyzantintl, p.
347, 1.29-p. 349,1. 13; Dukas. Decline and Fall, p. 219.

33 1454.iii.1 l = Belgrano, 'Documenti', no. 154, pp. 265-7.

obeikandl.com